

أهالي المخطوفين: نبش كل المقابر وتغلب العدالة على السياسة <لنحمل بدءاً بأرفعنا شأناً معاول ونخرج عظامهم بتأن ونبكيهم أخيراً>

ضحى شمس



حلواني تتحدث في حضور الاهالي (حسن عبد الله

ما إن بدأ أهالي المفقودين والمخطوفين الموجودين في قاعة نقابة الصحافة تلبية لدعوة «لجنة أهالي المفقودين والمخطوفين»، يصرخون عالياً بأسماء من يتهمونهم بقتل أولادهم وإخفاء جثثهم في مقابر جماعية بحرية وبحرية، إضافة إلى أولئك الذين قاموا بنفي مخطوفيهم عبر تسليمهم إلى بلدان أخرى، حتى تحولت الانظار إلى القاعة وبالتحديد إلى وسائل الاعلام المتألفة المملوكة من الاطراف التي خاضت الحرب باسم هذه الميليشيا أو تلك التي عبرت إلى السلطة والشأن العام اليوم عبر قوانين العفو العام الشاملة والأستثنائية.

أما بالنسبة لوسائل اعلام الدولة، فقد عكست توازن القوى الموجود على الارض، فجاءت مثلاً تغطية «الوكالة الوطنية للإعلام» خالية من أي من التسميات التي طالت وجوهاً قديمة متجددة في حياة اللبنانيين السياسية، منها المنتخب ومنها المطوب طائفياً. كان الأمر ساخراً ومراً، من نوع تلك السخرية التي تجعلك تهز برأسك يمنة ويسرة وكأنك تقول «عبث»، حتى ان مثل نقابة الصحافة الذي كان موجوداً، والذي أظهر «تضامناً» عاماً غير مكلف، رفع صوته محتاجاً بأنه «ممنوع الطعن بشخصيات عامة من على منبر نقابة الصحافة» ما تسبب باحتاج المنديين في وجهه وحتى من قبل بعض الشخصيات النقابية والسياسية الحاضرة في الصفوف الأولى على قتلها.

لم تشهد قاعة نقابة الصحافة، امس، حضوراً سياسياً كثيفاً تضامناً مع الأهالي. فقط كان هناك الصحفيون وأهالي <الفقيد>، إضافة إلى مثل النائب ميشال عون المحامي ايلي بيطار، وفؤاد عبد الساتر عن رابطة أساتذة التعليم الثانوي، ومنسق قطاع التربية في تيار <المستقبل> عصام عزام، والدكتور حسن منيمنة والنوابي محمد قاسم وخازبي عاد عن <لجنة أهالي المفقودين في السجون السورية>. هذا الحضور بدا

<طبيعاً> بالنسبة لسياق الوضع السياسي في البلاد. فالقضية ليست <فوتوجونيك> والهرب من المسؤوليات الفاضحة لجرائم الحرب والتي أمل مرتکبوها الذين لم يطلبوا الصفح العام قبل استيلائهم على العفو العام بقوه الذراع السياسية و... القتالية، ان ننساها، لم تنس أبداً.

بعيداً عن ألعاب المجاز اللغوية، يبدو أن دم الضحايا الذي طمر <حوشاوه تحت شوية تراب> كما قال النائب غسان مخبير، خرج وأخذ يصرخ فعلياً بصوت الأهالي مطالباً بالعدالة. <جزال التراب وبيان الوسخ> كما قال مخبير، سائلاً أهالي الضحايا الذين كان قد اختلط سبابهم للشخصيات العامة بيكانهم، <أن نجلس سوية لنير كيف سنحل الأمر>، قاصداً موضوع المقابر الجماعية ومعرفة مصير المخطوفين والمفقودين، معلناً عن الدعوة إلى اجتماع للجنة حقوق الإنسان النيابية الثلاثاء المقبل لبحث هذا الموضوع بالذات. بدأ المؤتمر بالنشيد الوطني ثم كلمة لممثل نقابة الصحافة فواد الحركة الذي أعلن تضامنه مع لجنة أهالي المفقودين <لأنهم أصحاب حق ولان قضيتهم عادلة وشريفة>. وأعلن استئثاره الشديد لعدم التوصل إلى حل هذه القضية الإنسانية.

ثم تحدث وداد حلواني باسم <لجنة الأهالي> داعية <إلى الوقوف دقيقة صمت احتراماً لأرواح أهلنا من ترقد رفاتهم في المقابر الجماعية التي نبشت أخيراً في وزارة الدفاع وفي منطقة عنجر، ولأرواح جميع الضحايا الذين أقيت جثثهم جماعياً تحت الأرض أو في أحشاء البحر، إخفاء لما اقترفته معاول الحرب>. وقالت حلواني <حنن اليوم أحوج ما نكون إلى أن نتضامن ونشد على أيدي بعضنا متمنين أن يكون أبناءنا أحياء في مكان ما. نصللي ونکاد أحياناً نتحدى القدر. نطالب بالتحقيق في إسرائيل وفي سوريا، نطالب بأن تسلم أرشيفات كل الميليشيات. إن ما يجري منذ عقود هو عملية إخفاء قسري لآنس، وقد آن الاوان ومن حقنا أن نعرف أين هم. نتمنى أن يكون أحباؤنا أحياء، ونناضل. لكن الحقيقة المرة هي أيضاً أن بعض الذين نبحث عنهم يرقدون هناك. كلهم أبناء لنا. إن العظام التي انتشلت تشهد على بлагة مأساة قضيتنا. نعم، اقتضى الامر ١٥ سنة بعد وقف الحرب، لتبش أولى المقابر الجماعية وليظهر الوجه المأسوي لوجعنا، ليظهر هذا الوجه أمام مواطنينا وأمام قلوبهم، فيتعاطفوا مع الضحية لا مع القاتل. ولبيداً العد العكسي في مواجهة كل الذين أخفوا أو طمسوا هذه المأسى>.

<هل تريدون إشعال حرب أهلية لأجل موتي؟>؟

وأضافت حلواني <اقتضى الامر ١٥ عاماً لتظهر أولى خيوط الحقيقة، فالمقابر الجماعية ليست اكتشافاً كما يقول البعض، الجديد هو نبشاها علنًا. فالحقيقة أذكركم: انه عام ٢٠٠٠، أصدرت <اللجنة الرسمية لاستقصاء عن جميع المخطوفين والمفقودين وتحديد مصيرهم> بياناً من صفتين، ذكرت فيه أكثر من مقبرة جماعية، وذكرت أيضاً البحر وراعت في ذلك التوازن الطائفي بين هويات المجرمين، وهويات الضحايا. كشف التقرير مقابر جماعية (ليس كلها)، لكن الدولة ارتأت عدم نبشاها، بل تذرعت بهذه المقابر لتدعونا إلى الصمت والتخلّي>. ثم قالت <فقل لنا إن المفقودين ماتوا بدليل وجود المقابر الجماعية، فهل تريدون إشعال حرب أهلية لأجل موتي؟ المقابر الجماعية وكثرة العظام المدفونة فيها تثبت أن جميعهم ماتوا(!!) اليوم نبشت المقابر الجماعية الأولى في لبنان، ونبشاها سمح للناس للمرة الأولى بأن يتبيّنا بعيونهم وقلوبهم حجم المأساة التي ترشح من قضية المفقودين. للمرة الأولى باتت مأساة الضحية في عيون الناس وقلوبهم أكبر بكثير من الخطابات السياسية والهالات البراقة التي يحيط بها أرباب الحرب والسياسة أنفسهم، لعل الناس ينسون ما ارتكبوا. نحن اليوم أحوج ما نكون إلى التضامن في ما بيننا ومع الناس، او لا لأنها لحظة حداد عميق، لحظة حداد عميقه جداً. وثانياً لأنها لحظة أمل ببدء إيلاء هذه القضية ما تستحق من أولوية لدى المواطنين ولدى الدولة، وثالثاً لأنها لحظة الحقيقة التي ننتظرها منذ عقود والتي يتوجس منها الفاعلون أيضاً منذ عقود>.

وتاتـتـ <تـسمـعـونـ الـيـوـمـ خـطـابـاتـ تـحاـولـ تـسيـسـ المـقـابـرـ الجـمـاعـيـةـ، توـحـيـ بـأـنـ نـبـشـ المـقـابـرـ الجـمـاعـيـةـ كـانـ بـقـارـ سـيـاسـيـ كـشـفـاـ لـجـرـائـمـ فـئـةـ مـعـيـنـةـ دـوـنـ اـخـرـىـ، وـكـأـنـ هـنـاكـ تمـيـزـاـ بـيـنـ مـقـبـرـةـ وـمـقـبـرـةـ وـبـيـنـ جـرـمـ وـمـجـرـمـ وـفـقاـ لـهـوـيـةـ الـفـاعـلـ. تـسـتـخـدـمـ عـظـامـ أـحـبـانـاـ لـمـآـرـبـ سـيـاسـيـةـ. هـذـاـ خـطـابـ مـرـفـوضـ جـمـلـةـ وـتـفصـيـلـاـ. وـتـضـامـنـتـاـ خـيرـ سـلاحـ ضـدـهـ. فـالـمـقـبـرـةـ الجـمـاعـيـةـ هـيـ مـقـبـرـةـ جـمـاعـيـةـ، مـوـضـوعـهاـ مـأسـاةـ الضـحـيـةـ بـمـعـزـلـ عنـ هـوـيـةـ الـفـاعـلـ. وـالـمـخـفـيـ قـسـراـ هوـ مـخـفـيـ قـسـراـ، مـوـضـوعـ مـأسـاتـهـ وـجـعـ الـأـمـ التـيـ مـاـ زـالـتـ تـنـتـظـرـ وـوـجـعـ الـوـلـدـ الـذـيـ لـاـ يـعـرـفـ وـالـدـهـ إـلـاـ بـالـصـورـةـ مـذـ طـفـولـتـهـ>>.

وـأـضـافـتـ <إـنـهـ سـاعـةـ الـحـقـيقـةـ التـيـ تـطـغـيـ فـيـهاـ الـمـأسـاةـ بـرـهـبـتـهاـ عـلـىـ أـهـازـيجـ السـيـاسـةـ. لـعـلـ الـعـدـالـةـ تـتـغلـبـ وـلـوـ لـمـرـةـ عـلـىـ السـيـاسـةـ. نـرـيـدـهـاـ سـاعـةـ شـجـاعـةـ تـتـبـنـىـ فـيـهاـ الـحـكـومـةـ مـطـالـبـنـاـ كـأـلـوـيـةـ لـبـنـاءـ دـوـلـةـ الـفـدـ عـلـىـ أـسـاسـ الـمـساـواـةـ وـالـعـدـالـةـ وـتـطـالـبـ بـجـلـاءـ حـقـيقـةـ الـإـخـفـاءـ الـقـسـريـ فـيـ إـسـرـائـيلـ وـسـوـرـيـاـ كـمـاـ تـطـالـبـ كـلـ الـمـيلـيشـيـاتـ بـتـقـديـمـ أـرـشـيفـاتـهـاـ بـشـأـنـ الـمـفـقـودـيـنـ>>. وـخـتـمـتـ <نـرـيـدـهـاـ لـحظـةـ حـقـيقـةـ لـتـكـرـيمـ أـحـبـانـاـ مـنـ دـفـنـوـ فـيـ مـقـابـرـ جـمـاعـيـةـ أوـ أـلـقـواـ فـيـ الـبـحـرـ، لـحظـةـ نـحـمـلـ فـيـهاـ كـلـاـنـ، بـدـعـاـ بـأـعـلـانـاـ شـأـنـ، مـعـاـولـ لـنـخـرـجـ عـظـامـهـ بـتـأـنـ، لـنـكـشـفـ هـوـيـتـهـمـ وـفـقاـ لـلـمـعـايـيرـ الـدـولـيـةـ، وـنـبـيـهـمـ أـخـيـرـاـ معـ أـمـهـاتـهـمـ وـأـبـاـلـهـمـ وـأـزـوـاجـهـمـ وـأـبـنـائـهـمـ، تـكـرـيـمـاـ لـهـمـ أـوـلـاـ وـلـلـأـحـيـاءـ تـالـيـاـ>>. وـمـاـ إـنـ اـتـهـتـ حـلـوـانـيـ حـتـىـ سـادـ هـرـجـ وـمـرـجـ فـيـ الـقـاعـةـ التـيـ كـانـ فـيـهاـ كـثـيـرـوـنـ جـددـ مـنـ أـهـالـيـ الـمـفـقـودـيـنـ الـذـينـ لـمـ يـكـوـنـوـاـ قـدـ سـجـلـوـاـ مـخـطـوفـيـهـمـ قـبـلـ الـيـوـمـ لـأـسـبـابـ شـتـىـ. وـأـخـذـتـ نـسـاءـ يـصـرـخـنـ باـسـمـ قـائـدـ الـقـوـاتـ الـلـبـنـانـيـةـ سـمـيرـ جـعـجـعـ وـأـخـتـلطـ صـرـاخـهـنـ بـإـشـهـارـهـنـ صـورـ مـفـقـودـيـهـنـ، فـاسـتـارـتـ الـكـامـيـرـاتـ الـيـهـنـ وـلـمـ يـعـدـ باـسـتـطـاعـةـ أـحدـ إـسـكـاـتـهـنـ ثـمـ اـنـسـبـتـ بـعـضـ وـسـائـلـ الـإـلـاعـمـ. وـ<إـقـتـحـمـ> جـهـادـ خـلـيلـ الـكـلـامـ فـكـانـ لـاـ بـدـ مـنـ إـعـطـانـهـ لـهـ. جـلـسـ إـسـكـاـتـهـنـ ثـمـ وـأـخـبـرـنـاـ أـنـهـ <عـمـولـدـ لـبـنـانـيـ بـبرـجـ حـمـودـ. رـاحـ خـيـيـ عامـ ١٩٧٥ـ هـنـاكـ وـوـالـدـيـ مـذـبـوحـ نـصـفـ إـلـىـ الـمـنـصـةـ وـأـخـبـرـنـاـ أـنـهـ <عـمـولـدـ لـبـنـانـيـ بـبرـجـ حـمـودـ. رـاحـ خـيـيـ عامـ ١٩٧٥ـ هـنـاكـ وـوـالـدـيـ مـذـبـوحـ نـصـفـ ذـبـحةـ. يـعـنيـ بـلـشـواـ يـذـبـحـوـ لـوـلـاـ اللـهـ يـطـوـلـ عـمـروـ جـوزـيـفـ شـمـالـيـ الـذـيـ أـنـقـذـهـ>>, ثـمـ قـالـ وـهـوـ مـرـتـبـكـ تـتـدـافـعـ الـكـلـمـاتـ الـىـ فـمـهـ <تـحـنـ الـيـوـمـ فـيـ غـيـابـةـ. نـطـلـبـ مـنـ كـلـ النـوـابـ وـمـنـ كـلـ حـزـبـ كـلـمـةـ الـحـقـ وـلـوـ انـ كـلـمـةـ الـحـقـ ثـقـيـلـةـ: فـيـنـ قـالـوـلـاـ لـنـاـ: شـكـرـ اللـهـ سـعـيـكـ؟ قـلـاـنـ لـهـمـ عـظـمـ اللـهـ أـجـرـكـ. وـإـلـاـ فـلـدـيـنـ مـعـلـومـاتـ تـفـضـحـ كـلـ هـؤـلـاءـ الـمـجـرـمـيـنـ>>. ثـمـ يـصـرـخـ فـجـأـةـ <جـبـدـنـاـ نـفـتـحـ جـدارـ الصـمـتـ.. خـلـصـ.. بـدـنـاـ نـعـتـصـمـ اـمـامـ مـجـلـسـ النـوـابـ>>.

وـمـعـ أـنـ الـكـلـامـ كـانـ قـدـ أـعـطـيـ إـلـىـ سـيـدةـ، اـسـتـولـىـ عـلـىـ الـمـنـبـرـ شـابـ قـالـ اـنـ اـسـمـهـ يـوـسـفـ الدـقـوـقـيـ وـهـوـ شـقـيقـ الـدـرـكـيـ الـمـخـطـوفـ تـوـفـيقـ. قـالـ <عـولـيدـ جـنـبـلـاطـ مـوـجـودـ وـنـبـيـهـ بـرـيـ مـوـجـودـ وـكـرـيـمـ بـقـرـادـونـيـ مـوـجـودـ وـجـعـجـعـ مـوـجـودـ.. لـمـ لـاـ يـتـكـلـمـونـ عـنـ مـجاـزـرـ الشـوـفـ الـأـعـلـىـ وـالـلـقـلـوـقـ وـالـمـلـخـ وـالـتـحـوـيـطـ وـفـرـنـ الشـبـاـكـ..>>. هـنـاـ اـحـتـجـ مـمـثـلـ نـقـابـةـ الـصـحـافـةـ، فـأـشـارـ إـلـيـهـ أـكـثـرـ الـمـوـجـودـيـنـ أـنـ يـصـمـتـ، وـأـشـارـوـاـ لـلـاهـالـيـ بـالـمـتـابـعـةـ فـيـ حـيـنـ كـانـ وـسـائـلـ إـلـاعـمـيـةـ أـخـرىـ تـنـطـويـ مـيـكـرـوـفـونـاتـهـاـ، وـلـمـ يـتـبـقـ إـلـاـ مـصـورـ <تـبـيـوـتـيـ فـيـ>>. ثـمـ اـعـتـلـتـ اـمـ مـحـمـدـ الـهـدـبـاـوـيـ الـمـنـبـرـ رـاوـيـةـ كـيـفـ خـرـجـتـ مـنـ مـنـطـقـةـ الـنـبـعـ بـعـدـ أـنـ أـمـرـهـاـ الـمـسـلـحـوـنـ أـنـ <الـلـبـنـانـيـنـ يـطـلـعـوـاـ>>، لـكـنـ الـلـبـنـانـيـنـ لـحـقـواـ بـهـاـ وـأـخـذـواـ اـبـنـهـاـ (سـتـةـ عـشـرـ عـامـاـ). ثـمـ تـضـيـفـ <الـلـهـ يـسـعـدـوـ مـورـيـسـ الـجـمـيلـ، سـقطـتـ الـنـبـعـ الـثـلـاثـاءـ وـذـهـبـ مـعـ الـأـرـبـاعـ الـىـ جـعـجـعـ الـذـيـ كـانـ جـالـسـاـ عـلـىـ مـقـتـبـ عـالـ وـكـانـ اـبـنـيـ بـالـمـلـجـاـ تـحـتـهـ. أـنـاـ كـانـتـ عـارـفـةـ وـمـورـيـسـ الـجـمـيلـ كـانـ عـارـفـ. تـحـدـثـ إـلـيـهـ الـجـمـيلـ.. لـكـنـ جـعـجـعـ طـرـدـنـيـ (تـصـرـخـ) هـوـيـ الـلـيـ هـلـقـ عـمـ يـطـالـبـ... مـنـوـ اللـهـ. اللـهـ يـحرـقـ قـلـبـوـ... لـاـ أـوـلـادـ لـهـ حـتـىـ اـدـعـيـ عـلـيـهـ، اللـهـ يـحرـقـ قـلـبـهـ عـلـىـ أـهـلـهـ>>.

وـسـائـلـ <الـسـفـيرـ> السـيـدةـ حـلـوـانـيـ لـمـ لـاـ تـتـحدـىـ لـجـانـ الـمـفـقـودـيـنـ الـثـلـاثـ، خـصـوصـاـ أـنـ رـئـيـسـ <سـولـيدـ> غـازـيـ عـادـ كـانـ مـوـجـودـاـ وـمـتـضـامـنـاـ. قـالـتـ حـلـوـانـيـ اـنـهـاـ لـاـ تـسـتـطـعـ أـنـ تـقـرـرـ وـحـدـهـاـ وـانـهـاـ سـتـطـرـحـ الـمـوـضـوـعـ عـلـيـهـمـ، مـشـيـرـةـ إـلـىـ مـعـانـةـ أـهـالـيـ الـمـفـقـودـيـنـ فـيـ سـوـرـيـاـ وـكـيـفـ كـانـتـ الـدـوـلـةـ تـقـعـ تـحـرـكـاتـهـمـ، ثـمـ طـلـبـ غـازـيـ عـادـ الـكـلـامـ فـقـالـ، اـنـهـ <لـلـأـسـفـ عـنـدـمـاـ كـانـ نـعـمـلـ مـؤـتـمـرـاتـ مـشـترـكـةـ لـمـ يـكـنـ الـإـلـاعـمـ يـسـلـطـ الضـوءـ عـلـىـ جـوـدـنـاـ مـعـ بـعـضـنـاـ. اـنـ الـضـحـيـةـ هـيـ دـائـمـاـ وـاحـدـةـ وـالـمـجـرـمـ دـائـمـاـ وـاحـدـ. وـلـاـ نـنـسـىـ أـنـ ثـلـاثـ قـوـيـ إـقـلـيمـيـةـ كـانـتـ مـشـترـكـةـ فـيـ

الحرب، وللاسف أصدروا قانون عفو كمن يكنس الغبار ويخبئه تحت السجادة واليوم نحن مصرون على فتح
هذه الملفات كلها».